الجمهورية اليمنية

وزارة الأوقاف والإرشاد

مكتب الأوقاف والإرشاد-م المهرة

مركز إعداد الأئمة والخطباء



السير إلى الرب

من خلال أعمال القلب

لطلاب مركز إعداد الأئمة والخطباء

تأليف الدكتور/ عبد الله إسماعيل عبد الله هادي

١٤٤٣/٢/٢٠هـ-٢٠٢١/٩/٢٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا شرح يسير، على هذه العشرة الأبيات، المسماة بـ«**السير إلى الرب من خلال أعمال القلب**» وقد جمعت «٥١» عملاً من أعمال القلوب؛ لتكون مقررًا لطلاب العلم المبتدئين في مركز إعداد الأئمة والخطباء؛ ولكي تكون مناسبة للتدريس في المساجد للعامة بعد ذلك.

وإن أعمال القلوب هي أهم الأعمال على الإطلاق، أهم من أعمال اللسان والجوارح، فأعمال اللسان أقوال، وأعمال الجوارح أفعال، ولا يعتبران ولا يقبلان إلا بأصلها من أعمال القلب.

فهي أعظم أجرًا، وأبقى أثرًا، وهي أساس الثواب والعقاب، والنجاة والفلاح، وتحقيقها أشق وأصعب من عمل الجوارح.

وإن القلب ليصلح ويصح، ويفسد ويمرض، وقد ذكر الله المرض في القرآن اثني عشرة مرة كلها مع القلوب، فدل على أن أمراضها أخطر من أمراض البدن، ومرضها يكون بالشهوات والشبهات والذنوب والمعاصي، وبأضداد هذه الأعمال التي ستأتي.

تمثل هذه الأعمال التي ذكرناها أهم الأعمال التي تُصْلح القلب ولا بد منها، وإلا فسد فسادًا إن لم تداركه رحمة الله حجب عن الله وكان من الهالكين، ولا يصل الهدى والنور والحق إلى قلبه أبدًا؛ بسبب ما قد غطاه من الران والأكنة والغمرة والغشاوة والزيغ والختم والطبع والقسوة والنجاسة والريب والنفاق كما أشار القرآن إلى كل ذلك.

وقد أوردتها غير مرتبة، لأن هذه الأعمال متلازمة ومترابطة، ولا يغني أحدها عن الآخر، وقد استخلصت جلها من كتاب مدارج السالكين، وكذلك الشرح، فجاءت كالآتي:

منظومة السير إلى الرب من خلال أعمال القلب

للدكتور/ عبد الله إسماعيل

١- السَّـــيْـرُ بِـالْقُـلُـوْبِ مِـنْ خِـلَالِ مَـعْـرِفَـةِ الْإِلَـهِ ذِيْ الْـجَـلَالِ
٢- يَـتْـلُـوْهُ إِخْـلَاصٌ يَـقِـيْـنٌ رَغْـبَـةْ وَالْـخَـوْفُ وَالـرَّجَـاءُ فَـقْـرٌ تَـوْبَـةْ
٣- وَالْـوَرَعُ الْـحَـيَـاءُ وَالْـمُـرَاقَـبَـةْ وَالشُّـــكْرُ وَالتَّفَكُّرُ الْمُحَـاسَـــبَـةْ
٤- مَـحَـبَّـةٌ وَالصَّـــبْـرُ وَالـتَّـدَبُّـرُ وَالْـهِـمَّـةُ الْـحَـيَـاةُ وَالـتَّـذَكُّـرُ
٥- وَالزُّهْـدُ والْإِشْـــفَـاقُ وَالتَّـوَكُّـلُ والصِّـــدْقُ وَاسْـــتِقَـامَـةٌ تَـبَـتُّـلُ
٦- وَالسِّـــرُّ وَالْإِخْبَاتُ وَالْمُشَـــاهَـدَةْ وَالشَّـــوْقُ وَالْفِرَارُ وَالْمُـجَـاهَـدَةْ
٧- تَـقْـوَى وَأُنْـسٌ أُلْـفَـةٌ تَـعْـظِـيْـمُ وَالثِّـقَـةُ التَّـفْـوِيْـضُ وَالتَّـسْـــلِيْـمُ
٨- وَالْـيَـقْـظَـةُ الْإِنَـابَـةُ الـتَّـمَـكُّـنُ وَالْـغَـيْـرَةُ السَّـــكِـيْـنَـةُ التَّـطَـمْؤُنُ
٩- وَالِانْشَـــرَاحُ وَالرِّضَـــا التَّضَـــرُّعُ وَالْغُرْبَـةُ السِّـــبَـاقُ وَالتَّخَشُّـــعُ
١٠- فَـهَـذِهِ الْأَعْـمَـالُ قُـوْتُ الْـقَـلْـبِ فَـاظْفَرْ بِهَا فِيْ السَّـــيْرِ نَحْوَ الرَّبِّ

الشرح

١-السَّــيْرُ بِـالْقُلُوْبِ مِنْ خِلَالِ مَـعْـرِفَـةِ الْإِلَـهِ ذِيْ الْـجَـلَالِ

أي لا بد أن تسير إلى الله عز وجل، وأعظم أنواع السير، وأسرعه وصولاً إنما يكون بأعمال القلوب. وهذه الأبيات مع شرحها تأخذ بقلبك إلى طريق الله، وإلى منهاجه القويم، وصراطه المستقيم. وهي عبارة عن سلسلة من الأعمال القلبية، لا بد للقلب المسافر إلى الله أن ينزل في كل منزلة منها، وأن يحط رحله في باحة كل واحدة منها. وفيما يلي نأتيك بهذه المنازل والمراحل التي عليك أن تقطعها بقلبك منزلة منزلة ومرحلة مرحلة:

١-**معرفة الله والعلم به**: «مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ ذِيْ الْجَلَالِ»: أول منزلة من منازل السير معرفة الله عز وجل والعلم به، وذلك بأن تتعرف إليه من خلال كتابه المسطور، والكون المنظور، فالأول بعبادة التدبر، والثاني بعبادة التفكر، وكلاهما قلبي. وستعرفه بعد ذلك معرفة يقينية، ستعرف أسماءه وصفاته وأفعاله في الأول مسطورة، وستجدها من خلال الثاني منظورة. فتعرّفْ على الله دائمًا، وخاصةً في وقت الرخاء، تتعرفُ عليه معرفة توحيد وإقرار، ومعرفة حب وتعظيم وإجلال وإقبال، فإنه سيعرفك في الشدة بأن يستجيب لك، ويؤيدك وينصرك.

٢-يَـتْـلُـوْهُ إِخْـلَاصٌ يَـقِـيْـنٌ رَغْـبَـةٌ وَالْـخَـوْفُ وَالـرَّجَـاءُ فَـقْـرٌ تَـوْبَـةٌ

٢-**الإخلاص**: «يَتْلُوْهُ إِخْلَاصٌ»: أي يأتي بعد معرفة الله الإخلاص، وهو إفراده سبحانه بالقصد والتوجه والعبادة بحيث يستوي عند المخلص العمل في السر والعلانية، ولا يمازجه شائبة من الحظوظ القادحة في أصل الإخلاص كشهوات النفس والهوى والدنيا. لهذا كان شاقًّا على النفس؛ لأن تنقية القلب دائمًا من هذه الحظوظ

يحتاج إلى جهد كبير لا انقطاع فيه. واحذر من أضداده أشد الحذر وهي **الشرك والرياء والعجب والسمعة**. فكما أنّ الإخلاص طريق إلى الجنة والسعادة في الدنيا والآخرة، فكذلك أضداده طرق إلى جهنم والشقاء في الدنيا والآخرة.

٣-**اليقين**: وهو مشاهدة القلب لعالم الغيب والإيمان به، كما تشاهد العين عالم الشهادة وتقطع به، فكما أن الشك لا يتطرق إلى العين فيما تشاهده، فكذلك لا يتطرق الشك إلى قلب الموقن فيما يؤمن به ويعتقده من الحق. وهو مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. فعلمنا بالجنة في الدنيا علم اليقين، فإذا أُزلفت يوم القيامة ورآها أهل المحشر قبل أن يدخلوها فهو عين اليقين، فإذا دخلها أهلها أصبحت في حقهم حق اليقين. واليقين سبب النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، يولِّد الثبات، ويورث الزهد في الدنيا، والشوق إلى الآخرة، ويُكسب التأثر بما بثه الله من الآيات في السماوات والأرض، ويثمر التوكل والتجلد، مشى به سعد بن أبي وقاص ومن معه على نهر دجلة فتجمد، وشرب خالد السم فلم يضره، وبه مع الصبر تنال الإمامة في الدين.

٤-**الرغبة فيما عند الله**: قَالَ اللَّهُ تعالى: {**يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**} [الأنبياء: ٩٠]. أي يدعوننا بابتهال وتضرع راغبين فيما عندنا وراهبين من عقوبتنا. وقال الله: {**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** (٧) **وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ** (٨)} [الشرح]. أي ارغب إلى ما عند ربك وحده ولا تلتفت إلى غيره؛ فإن العطاء كل العطاء بيد الذي بيده خزائن كل شيء، وبيده الدنيا والآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار. فالرغبة فيما عند الله: **هي الحرص على ما عنده من الثواب، والطمع في جنته ودار كرامته**. رغبة تشعل في القلب الهمة للعبادة، وتقتل الكسل والخمول، وتقضي على العوائق، وتستحثه على الجد بلا كلل، وعلى السير بلا ملل.

٥- **الخوف من الله**: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥] وَقَالَ: {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} [المائدة: ٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠] وقال: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: ٦٠]. وهنا تلاحظ أربعة أمور وردت في الآيات (الخوف) و(الخشية) و(الرهبة) و(الوجل) ألفاظ متقاربة لكنها غير مترادفة. **فالخوف**: اضطراب القلب من تذكر المخوف. **والخشية**: أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: {إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماءُ} [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة. **والرهبة**: خوف مع فزع وهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة. **والوجل**: رجفان القلب، وانصداعه عند ذكر الله؛ خوفًا منه، ومن عقوبته. والخوف من الله له ثمار كثيرة منها أنه طريق إلى الإخلاص، والتمكين في الأرض والنجاة من كل سوء، والاستظلال بظل الله يوم القيامة، ودخول الجنة، ونيل رضا الله وهو أكبر نعيم...

٦- **الرجاء**: وهو الاستبشار بكرم الله وفضله، والارتياح لمطالعة جوده، وتعليق القلب على ذلك. قَالَ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} [العنكبوت: ٥]، وَقَالَ: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢١٨]. والقلب يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، فهما جناحان لا بد منهما في السير وإلا يحدث الانحراف، ويغلب أحدهما على الآخر على حسب الحال الذي يمر به السائر إلى الله فقبل الوقوع في المعصية يغلب الخوف، وعند الموت يغلب الرجاء؛ وقد أخبر الله عن بعض الملائكة والرسل والصالحين أنهم يسيرون بين الخوف والرجاء، فقال: {يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء: ٥٧].

٧-**الفقر إلى الله**: وهو شعور العبد بفقره، وشدة احتياجه لربه في كل حالة؛ نتيجة لحاجته الدائمة، ولمعرفة غنى ربه المطلق. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥]. وهذا فقر عام ملازم كل الناس؛ فالله –سبحانه–أخرج العبد من بطن أمه فقيرًا من كل شيء، لا يعلم شيئًا ولا يقدر على شيء، ولا يملك شيئًا، ولا يقدر على عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع ولا شيء البتة، فكان فقره في تلك الحال أمرًا مشهودًا محسوسًا لكل أحد، لا ينكره ولا يجادل فيه أي مجادل، فلما أسبغ الله عليه نعمته، وأفاض عليه رحمته، وساق إليه أسباب كمال وجوده ظاهرًا وباطنًا، استكبر من استكبر، ونسي من نسي، والموفق من استشعر دائمًا أنه فقير إلى ربه؛ ولهذا كان صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق عبودية، وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، كان من دعائه: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت». صحيح ابن حبان وغيره.

٨-**التوبة**: وهي الرجوع إلى الله بترك الذنب مخافة لله، وباستشعار قبح ذلك الذنب، وندم على المعصية من حيث هي معصية، والعزيمة على ألا يعود إليها إذا قدر عليها، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة. وأدلتها كثيرة جدًا، منها قوله تَعَالَى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١] وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةٍ مَدَنِيَّةٍ، خَاطَبَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ، بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ، وَهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، ثُمَّ عَلَّقَ الْفَلَاحَ بِالتَّوْبَةِ. وقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١] قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» [خ]. وقد وعد الله بقبولها من عباده، فقال: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [الشورى: ٢٥]. وفتح لهم أبواب الرجاء في عفوه ومغفرته، وأمرهم أن يلجؤوا إلى

ســاحات كرمه وجوده، طالبين تكفير الســيئات وســتر العورات، وقبول توبتهم، لا يطردهم من رحمة الله طارد، ولا يوصــد بينهم وبين الله باب. قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

٣-وَالْـوَرَعُ الْـحَـيَـاءُ وَالْـمُـرَاقَـبَـةُ وَالشُّـكْرُ وَالتَّفَكُّرُ الْمُحَـاسَـبَـةُ

٩-**الورع**: وهو ترك ما يضر في الآخرة. وهو ملاك الدين. فعن عمرو بن قيس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل العلم خير من فضل العبادة، ومَلاك دِينكم الورع» مصنف ابن أبي شيبة. وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الورع كله في كلمة واحدة -كما صح عند الترمذي-فقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» فهذا الترك قلبي أولاً ثم ينعكس إلى ترك ما لا يعني بالجوارح كالكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع. وصح عند الترمذي أيضاً مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة كن ورعًا، تكن أعبد الناس». وصح عنده أيضًا قيل للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

١٠-**الحياء**: وهو خُلُقٌ قلبي يَبعَثُ صاحبَه على اجتِنابِ القَبيحِ، ويَمنعُ مِنَ التَّقصيرِ في حقِّ ذي الحقِّ. والحياء يكون من الله ومن الملائكة ومن الناس ومن النفس. وهو شعبة من الإيمان ولا يأتي إلا بخير. ونكتفي بذكر حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استحيوا من الله حق الحياء». قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت

والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» حسن رواه أحمد والترمذي.

١١-**المراقبة لله**: وهي دوام استشعار القلب ويقينه بأن الله مطلع على ظاهره وباطنه؛ فيجوِّد الطاعات، ويجتنب السيئات. وهي طريق في الدنيا إلى الإحسان، وفي الآخرة إلى الجنان.

١٢-**الشكر**: هي الاعتراف بالنعمة، والثناء عليه بها، والعمل بما يرضيه فيها. قَالَ تَعَالَى: {وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤] وقَالَ: {وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، وَقَالَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ} [النحل: ١٢٠،١٢١] وَقَالَ عَنْ نُوحٍ: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣] وَقَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨] وَقَالَ: {وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت: ١٧] وَقَالَ: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤] وَقَالَ: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧] وَقَالَ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم: ٥]، وَسَمَّى نَفْسَهُ شَاكِرًا وَشَكُورًا وَسَمَّى الشَّاكِرِينَ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمْ مِنْ وَصْفِهِ. وَسَمَّاهُمْ بِاسْمِهِ. وَحَسْبُكَ بِهَذَا مَحَبَّةً لِلشَّاكِرِينَ وَفَضْلًا. وَإِعَادَتُهُ لِلشَّاكِرِ مَشْكُورًا. كَقَوْلِهِ: {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان: ٢٢] وَرِضَا الرَّبِّ عَنْ عَبْدِهِ بِهِ. كَقَوْلِهِ: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧] وَقِلَّةُ أَهْلِهِ فِي الْعَالَمِينَ. كَقَوْلِهِ: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣].

١٣- **التفكر**: هو تصرف القلب بالنظر في الدلائل. وقد دلت الأدلة على وجوب تفكر المؤمن، ومن ذلك تفكره في الآيات المنزلة، والمخلوقات المبثوثة في أرجاء

الكون، وفي نفسه كم فيها من العجائب، وفي خلقها، وفي عذاب الله وعقابه، وجنته ورحمته. والتفكر في عاقبة من مضى من الأمم، وما هو السبب في هلاك من هلك منهم؟ والتفكر في خلق السماوات والأرض، والدنيا والآخرة، وفي اختلاف الليل والنهار، وفي البحار والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وحركة النجوم...وله ثمار عظيمة؛ ولهذا ابن عباس: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة».

١٤-**المحاسبة**: وهي النظر في أعمال النفس، واستدراك الأخطاء، والمضي في الصالحات. ويسبقها في أول النهار مشارطة للنفس ثم مراقبة لها لتطبيق الشروط ثم في الليل جلسة محاسبة، فإن كانت أخطاء فمعاقبة، وإن لم فمعاتبة. وقد أمر الله بها في قوله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر: ١٨]، فَأَمَرَ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ أَنْ يَنْظُرَ مَا قَدَّمَ لِغَدٍ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مُحَاسَبَةَ نَفْسِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَالنَّظَرَ هَلْ يَصْلُحُ مَا قَدَّمَهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِهِ أَوْ لَا يَصْلُحُ؟ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا النَّظَرِ مَا يُوجِبُهُ وَيَقْتَضِيهِ، مِنْ كَمَالِ الِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَتَقْدِيمِ مَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَيُبَيِّضُ وَجْهَهُ عِنْدَ اللَّهِ. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وتزينوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: ١٨]. والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة؛ لأن الله سيحاسبك على ذلك، قال تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} [البقرة:٢٨٤].

٤-مَحَبَّةٌ وَالصَّبْرُ وَالتَّدَبُّرُ وَالْهِمَّةُ الْحَيَاةُ وَالتَّذَكُّرُ

١٥-**المحبة**: هي ميل القلوب إلى الله بالحب والتعظيم والإجلال والرجاء. فمحبة الله تقتضي محبة رسوله وأوليائه، وموالاتهم، والبراءة من أعدائهم. وتقتضي أن تتصف بتلك الصفات التي يحبها، فالله يحب المحسنين، والصابرين، ويحب التوابين

والمتطهرين، والمتقين، والمتوكلين، والمقسطين، والمجاهدين. وأن تجتنب عن تلك الصفات التي لا يحبها، فالله لا يحب المعتدين والمفسدين والكافرين والظالمين والمسرفين والمستكبرين والفرحين ولا يحب المختال والفخور والأثيم والخوان ولا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم. وتقتضي محبة الله أن ألا تقدم عليها أي محبة ويتلوه محبة رسوله وإلا فهو فسق وهلاك.

١٦-**الصبر**: وهو حَبْسُ النَّفْسِ عن الجَزَعِ، وعن فعل ما لا يَحسُنُ. ويكون الصبر على الأذى في سبيل الله، وعلى الطاعات، وعلى الأقدار، وعن الوقوع في المعصية. ومن ثماره الظفر بالفلاح، والمغفرة، والأجر الكبير بغير حساب، والنجاة من الخسران، وهو طريق إلى الجنة، ودخولها، وسلام الملائكة على أهلها؛ بسبب صبرهم، ونيل الإمامة في الدين، ومعية الله، ونصره، ومحبته، ورحمته، والحفظ من كيد الأعداء...

١٧-**التدبر**: وهو التأمل والتفكر في الوحي (الكتاب والسنة)، من أجل فهمه، وإدراك مراميه، والعمل بما فيه. ومفاتيحه كثيرة منها حب الوحي، والحفظ للقرآن والسنة، فأما حفظ القرآن فواضح، وأما حفظ السنة فيكفي في حفظها أن يبدأ بالأربعين النووية، ثم الوجيز في السنة النبوية، ثم معالم السنة النبوية والأخيران لصالح الشامي. والدعاء واستحضار أهداف القراءة، والربط والتكرار، والاستعانة بالتفاسير السهلة والشروح، كل ذلك يساعد في التدبر. ومن رحمة الله أن جعل وحيه سهلاً ميسراً لكل الناس أن يصلوا إليه بأنفسهم. ومن أدلة التدبر: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون: ٦٨]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: ٣].

١٨-**الهمة**: وهي استصغارُ ما دونَ النِّهايةِ مِن معالي الأمورِ، وطلَبُ المراتبِ السَّاميةِ. كطلب الفردوس الأعلى من الجنة. وكطلب النبي صلى الله عليه وسلم للوسيلة. وطلب مرافقته في الجنة. وأعلاها همةٌ تصون القلبَ عن وحشة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي، وتصفيه من كدر الكسل والفتور والتواني.

١٩-**الحياة**: والمقصود حياة القلب بالهداية والإيمان والقرآن والمحبة والعبادة والذكر والعلم؛ فمن تحصل على ذلك أحياه الله حياة طيبة. ومَن عُدم ذلك فهو مَيّتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَإِنْ كَانَ حَيَّ الْبَدَنِ فَجَسَدُهُ قَبْرٌ يَمْشِي بِهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ - لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس: ٦٩ - ٧٠]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ} [النمل: ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢]. وَشَبَّهَهُمْ فِي مَوْتِ قُلُوبِهِمْ بِأَهْلِ الْقُبُورِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ مَاتَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَصَارَتْ أَجْسَامُهُمْ قُبُورًا لَهَا، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ أَصْحَابُ الْقُبُورِ، كَذَلِكَ لَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ. والقلب بلا وحي لا روح فيه؛ لأن الوحي هو الروح، قَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى: ٥٢].

٢٠-**التذكر**: وهو نتاج التفكر والتدبر، ومنزلته منهما كحُصُولِ الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ بَعْدَ التَّفْتِيشِ عَلَيْهِ. **وهو عظة وعبرة توصل إلى الرجوع والإنابة إلى الله**. وقد ورد كثيرًا في القرآن، ومن ذلك قوله تَعَالَى: {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} [غافر: ١٣] وَقَالَ: {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [ق: ٨] قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الرعد: ١٩] وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة: ٢٦٩]. وقال: {وَلَقَدْ

آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [غافر: ٥٣] وَقَالَ عَنِ الْقُرْآنِ: {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [الحاقة: ٤٨] وَقَالَ فِي آيَاتِهِ الْمَنظورة: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [ق: ٦]. وقال: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٦].

٥-وَالزُّهْدُ والْإِشْفَاقُ وَالتَّوَكُّلُ والصِّدْقُ واسْتِقَامَةٌ تَبَتُّلُ

٢١-**الزهد**: وهو تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا. وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا. قَالَ تَعَالَى: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} [النساء: ٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: ١٦]، وَقَالَ: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: ١٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا} [الكهف: ٧]، وقَالَ تَعَالَى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: ٢٠]. وَالزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ. وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَى مَفْقُودٍ. قال تَعَالَى: {لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: ٢٣].

٢٢-**الإشفاق**: وهو رِقَّةُ الْخَوْفِ. فإذا تعدى بمِن فهو خوفٌ مع حذر، وهذا هو الوارد في القرآن، فقد وصف الله به ملائكته فقال: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء:٢٨]. وذكر أنه من صفات المتقين فقال: {وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ-الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٤٨-٤٩]. ومن صفات الذين يسارعون في الخيرات قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} إلى أن قال: {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون:٥٧، ٦١]. وأنه من صفات المؤمنين قال تعالى: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} [الشورى:١٨]. ومن الصفات التي يدخل بسببها أهل الجنة الجنة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} إلى أن قال: {أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج:٢٧، ٣٥]. وأنها سبب النجاة من النار، قَالَ تَعَالَى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ - قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ - فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور: ٢٥ - ٢٧]. وإذا تعدى بعلى يقال أشفق عليه: فهو خوفٌ مع عطف وحنان ورحمة.

٢٣-**التوكل**: وهو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع، ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها. وقد ورد كثيرًا في كتاب الله، فقد أمر به المؤمنين فقال: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]، وَقَالَ: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٢٢]، ووعد بأنه من توكل عليه فهو كافيه فقَالَ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]، وَقَالَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ: {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة: ٤] ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [الملك: ٢٩]، وَقَالَ أيضًا: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩]، وَقَالَ لَهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١]، وَقَالَ لَهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ لَهُ: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ

عَنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا} [إبراهيم: ١٢]، وَقَالَ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]، ووصف المؤمنين بأنهم يتوكلون على الله قَالَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢]، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ ذَلِكَ، وفي السنة كذلك. وأما الأمور المنافية للتوكل فهي التطير والتشاؤم والتنجيم والكهانة وتعليق التمائم والتبرك بالأحجار والأشجار والتواكل...

٢٤- **الصدق**: وهُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللَّهِ، الْمُوَصِّلُ إِلَى اللَّهِ. وَهُوَ مَا كَانَ بِهِ وَلَهُ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. وَجَزَاءُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ. فَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩]. وجعله من صفات المنعم عليهم، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء: ٦٩]، فَهُمُ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩]. وأَعْلَى مَرَاتِبِ الصِّدْقِ: مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ. وَهِيَ كَمَالُ الِانْقِيَادِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ لِلْمُرْسِلِ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى الصِّدْقِ. فَقَالَ: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء: ٨٠]. وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [الشعراء: ٨٤]. وَبَشَّرَ عِبَادَهُ بِأَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ قَدَمَ صِدْقٍ، وَمَقْعَدَ صِدْقٍ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس: ٢]. وَقَالَ: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر: ٥٤ - ٥٥]. فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: مُدْخَلُ

الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ. وَلِسَانُ الصِّدْقِ، وَقَدَمُ الصِّدْقِ، وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ. وهو من أسباب دخول الجنة فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا».

٢٥-**الاستقامة**: هي ثبات القلب على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي. وهي بهذا المعنى ترادف التقوى، وتجمع شرائع الدين كلها. وقد رتب الله على الإيمان والاستقامة البشرى بالجنة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠]. وَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: ١٣]. وَقَد أمر بها رسوله ومن اتبعه: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: ١١٢]، فَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِقَامَةَ ضِدُّ الطُّغْيَانِ. وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحُدُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ تَعَالَى آمرًا بها: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} [فصلت: ٦]. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنتْ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».

٢٦-**التبتل**: هو الانقطاع إلى الله انقطاعًا تامًّا، قال تعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل: ٨]. ومنه انْقِطَاعُ القَلْبِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ الْمُزَاحِمَةِ لِمُرَادِ الرَّبِّ مِنْهُ. وَعَنِ الْتِفَاتِهِ إِلَى مَا سِوَى اللَّهِ، خَوْفًا مِنْهُ، أَوْ رَغْبَةً فِيهِ، أَوْ مُبَالَاةً بِهِ، أَوْ فِكْرًا فِيهِ، بِحَيْثُ يُشْغَلُ قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ.

٢٧-**الســر**: وهو الأمر الخفي في القلب من تصـديق ومعرفة بالله وتوحيده مما لا يطلع عليه أحد إلا الله، وأهله أصـحاب خفاء وسـر، لا يتطلعون إلى رياسـة ولا إلى شـهرة. وفي مسـند أحمد عن سَـعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ حَيْثُ قَالَ لَهُ ابْنُهُ: أَنْتَ هَاهُنَا وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْإِمَارَةِ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ». وفي صحيح ابن حبان عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الذكر الخفي». وعند مسلم وغيره قَوْلهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ». وكذلك هذا السر هو الذي أَهَّلَ الضعفاء أن يتبعوا الرسل قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ} [هود: ٣١] أي أَنَّ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ الَّذِينَ صَدَّقُوهُمْ، وَآثَرُوا اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ عَلَى قَوْمِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ قَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، خَفِيَ عَلَى أَعْدَاءِ الرُّسُـلِ، فَنَظَرُوا إِلَى ظَوَاهِرِهِمْ، وَعَمُوا عَنْ بَوَاطِنِهِمْ فَازْدَرَوْهُمْ وَاحْتَقَرُوهُمْ، وَقَالُوا لِلرَّسُـولِ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ، حَتَّى نَأْتِيَكَ وَنَسْمَعَ مِنْكَ، وَقَالُوا: {أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} [الأنعام: ٥٣] فَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِـهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [هود: ٣١] أي أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ، إِذْ أَهَّلَهُمْ لِقَبُولِ دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَتَصْـدِيقِ رُسُـلِهِ، وَاللَّهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِيمٌ حَكِيمٌ، يَضَـعُ الْعَطَاءَ فِي مَوَاضِـعِهِ، ويضـع سـره في ضـعاف خلقه. وَتَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّـاكِرِينَ} [الأنعام: ٥٣]. وفي البخاري: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَـلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَـفَعَ أَنْ يُشَـفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْـتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَـكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْـلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَـفَعَ أَنْ لاَ يُشَـفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».

٢٨-**الإخبات**: هو سـكون القلب، واطمئنانه وإنابته إلى الله مع التواضع والخشوع والخضوع. وقد عرّفه الله عز وجل في كتابه فقَالَ: {وَبَشِّـرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج: ٣٤] ثُمَّ كَشَفَ عَنْ مَعْنَاهُمْ فَقَالَ: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الحج: ٣٥]، وَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [هود: ٢٣].

٢٩-**المشاهدة**: وهي قُوَّةُ الْيَقِينِ، وَمَزِيدُ الْعِلْمِ، وَارْتِفَاعُ الْحُجُبِ الْمَانِعَةِ مِنْ ذَلِكَ، لَا نَفْسُ مُعَايَنَةِ الْحَقِيقَةِ. وهي التركيز والقوة المبصرة للحق، عند سماع القرآن. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّـمْعَ وَهُوَ شَـهِيدٌ} [ق: ٣٧]. فقد جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَلَامَهُ ذِكْرَى، لَا يَنْتَفِعُ بِهَا إِلَّا مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثلاثة. **أَحَدُهَا**: أَنْ يَكُونَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ وَاعٍ، فَإِذَا فَقَدَ هَذَا الْقَلْبَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالذِّكْرَى، **الثَّانِي**: أَنْ يُصْغِيَ بِسَمْعِهِ كُلِّهِ نَحْوَ الْمُخَاطَبِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِكَلَامِهِ، **الثَّالِثُ**: أَنْ يُحْضِرَ قَلْبَهُ وَذِهْنَهُ عِنْدَ الْمُكَلِّمِ لَهُ، وَهُوَ الشَّهِيدُ؛ أَيِ: الْحَاضِرُ غَيْرُ الْغَائِبِ، فَإِنْ غَابَ قَلْبُهُ وَسَافَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْخِطَابِ.

٣٠-**الشوق إلى لقاء الله**: وهُوَ اهْتِيَاجُ الْقُلُوبِ إِلَى لِقَاءِ الله. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} [العنكبوت: ٥]. وَقَدْ صح في السنة أن النَّبِيَّ -

صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ – كان يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «وَأَسْـأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ». ومن ذلك شَوْقُ الْعَابِدِ إِلَى الْجَنَّةِ.

٣١-**الفرار إلى الله**: وهو شـدة الهرب مِمَّا سِـوَى اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات:٥٠]. وقال عن إبراهيم: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَـيَهْدِينِ} [الصـافات:٩٩]. والفرار يكون من شـيء مخيف إلى شـيء آمن، ومن فزع إلى اطمئنـان. تفر إلى اللـه؛ لأن خلفـك إبليس يسـعى جـاهـدًا خلفـك ليهلكـك، وليجعلك من أصحاب السعير. فلا تؤخر الفرار. فرَّ إلى ربك في الدنيا راغبًا مختارًا قبل أن يأتي يوم تفرُّ إليه وأنت مضطرٌ إليه – وليس لك إلا هو – ولكن لا ينفعك الفرار حينها لأنك قد فررت منه وأعرضـت عنه في الدنيا قال تعالى: {يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة: ١٠ – ١٢] وقال جل شأنه : {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} [غافر: ٣٣] وقال تعالى: {مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ } [الشورى: ٤٧]، يفرُّ الإنسان في ذلك الموقف مِن كل مَن يمتُّون له بصلة في هذه الحياة يفر حتى من أبنائه وفلذات كبده، ولكن لا ينفع هذا الفرار إن لم يكن الإنسـان من الفارين إلى الله في هذه الحياة الدنيا يقول سـبحانه: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَـاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَـأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: ٣٤ – ٣٧]. فلماذا نؤخر الفرار إلى العزيز الجبار؟ لماذا نؤخر الفرار إلى الواحد القهار؟ هل نحن مغترون بصـحتنا وقوتنا التي هي إلى ضـعف وزوال؟ أم نحن مغترون بأموالنا التي لن يلحقنا منها شـيء إذا متنا؟ أم نحن عالمون بموعد موتنا وانتقالنا عن هذه الحياة؟ لهذا نحن نؤخر الفرار إلى الله إلى قرب هذا الموعد، هذه أسئلة لا بد أن يسـألها المسـلم لنفسـه، ولا بد أن يجد لها الإجابات المقنعة إن كان حقًّا يريد مرضـاة الله سـبحانه، وإن كان حقاً يريد النجاة من عذاب الله وعقابه. فتعالوا

لنعلنها صـــريحة واضـــحة تحمل كل معاني الفرار إلى الله ظاهرًا وباطنًا: «اللَّهُمَّ أَسْـلَمْتُ نَفْسِـي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْـتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». متفق عليه.

٣٢-**المجاهدة في الله**: قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُـــبُلَنَا} [العنكبوت:٦٩]. فعلق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشـــيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته. وقال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحجر:٧٨]. وحق الجهاد هو جهاد النفس. وقال تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت:٦]، **والمقصـــود بالمجاهدة محاربة النفس بفطامها عن الأهواء والشـــهوات ونزع الأماني والشـــبهات، وبإلزامها الطاعات، وتركها للمحرمات.** وهو أصـــعب أنواع المجاهدة، ويكون بترويض النفس حتى يسهل قيادها إلى الخير، وحتى تقصر عن الشر. وهذا الجهاد، لا ينتهي، ولا ينقطع ما مادامت نفسك بين جنبيك في الدنيا. ويجب أن تكون المجاهدة لله؛ وقد صـح في السـنة عند أحمد وغيره عن فَضَـالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ».

٧-تَـقْـوَى وَأُنْـسٌ أُلْـفَـةٌ تَـعْـظِـيْـمُ وَالـثِّـقَـةُ الـتَّـفْـوِيْـضُ وَالـتَّـسْـلِـيْـمُ

٣٣-**التقوى**: وهي امتثال فعل الأوامر، وترك النواهي. وهي شـــاملة لكل مقامات الدين؛ ولهذا رتب الله عليها الجنة كثيرًا في كتابه، وأمر بها كثيرًا، وأهلها أهل النجاة من النار، وهي خير الزاد، وميزان التفاضـل بين الناس، وهي وصـية كل رسـول لقومه،

وطريق رضا الله، ومحبته، ونصره، وبركته ومغفرته وحفظه، وكل هذا ثابت في كتابه. وقد وصف الله نفسه بأنه ولي المتقين، وهم أولياؤه.

٣٤-**الأنس بالله**: الأنس ضد الوحشة، والأنس بالله هو اطمئنان القلب وسكونه بقرب الله منه، يرعاه ويلطف به. فيحب ربه وتهدأ نفسه بمعية الله له، ويستبشر بنعم الله عليه، وبفضله، ويفرح برحمة الله وذكره، لا يفتأ من التقرب إلى ربه حتى يسعد بالأنس بالله.

٣٥-**الألفة**: وهي الأنسُ والاجتماعُ مع الالتئامِ، والاتفاق والمعاونة على تدبير الحياة فيما بين المؤمنين. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:٦٢-٦٣]، وصح عند أحمد وغيره عن أبي هُريرة رَضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: «إنَّ المؤمِنَ يألَفُ، ولا خيرَ فيمن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ». فلا تجتمع كلمة المسلمين إلا أن يسبق ذلك تآلف القلوب واجتماعها.

٣٦-**التعظيم**: والمقصود إجلال الرَّبِّ فِي الْقَلْبِ مع التذلل والخوف والتقدير حق التقدير، قال تعالى: {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج:٧٤]. أي ما عظموا الله حق تعظيمه. والتعظيم تابع للمعرفة؛ فأَعْرَفُ النَّاسِ باللهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا. والله من أسمائه العظيم ومن صفاته العظمة، وتتجلى عظمته في خلق الله في الكون بتفاصيله من خلقٍ للسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم الجبال...

٣٧-**الثقة بالله تعالى**: وهي تعلق القلب بما عند الله، والوثوق به، وانقطاعه عما في أيدي الناس، وعدم الركون إليه. وهي اليقين الراسخ بأن الله لا يخلف الميعاد؛ وأنه على كل شيء قدير. وهناك آيات كثيرة تدل على الثقة بما عند الله، وبما وعد به،

وأنه لا يتخلف. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [فاطر: ٥]. وقال: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢]. وقال: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧١ – ١٧٣]. وقال: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]. وقال: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [غافر: ٧٧]. وقال: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]. وقال: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف: ٩]. وقال: {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف: ١٣]. وقال: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق: ٧]. وألهمَ أُمَّ موسَى بقوله: {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي} [القصص: ٧]. فَإِنَّ فِعْلَهَا هَذَا هُوَ عَيْنُ ثِقَتِهَا بِاللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْلَا كَمَالُ ثِقَتِهَا بِرَبِّهَا لَمَا أَلْقَتْ بِوَلَدِهَا وَفِلْذَةِ كَبِدِهَا فِي تَيَّارِ الْمَاءِ، تَتَلَاعَبُ بِهِ أَمْوَاجُهُ، وَجَرْيَانُهُ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي أَوْ يَقِفُ.

٣٨- **التفويض**: وهو بَرَاءَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَسْلِيمُ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللهِ، قال تعالى عن مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر: ٤٤]. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَتَّخِذَهُ وَكِيلًا. فَقَالَ: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: ٩].

٣٩- **التسليم**: وهو الرضا والإذعان والانقياد والاستسلام لشرع الله استسلامًا كاملًا، وانقيادًا مطلقًا. قَالَ تَعَالَى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]. وليكن

شعارك أيها المسلم «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»، لا شعار المغضوب عليهم حيث قالوا: «سمعنا وعصينا»، قال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور:٥١].

٨-وَالْيَقْظَةُ الْإِنَابَةُ التَّمَكُّنُ وَالْغَيْرَةُ السَّكِيْنَةُ التَّطَمْؤُنُ

٤٠-**اليقظة**: وهي كمال تنبه القلب وتحرزه عما لا ينبغي، وهي ضد الغفلة. وقد ذم الله الغفلة وأهلها، وصرح بأن أهلها أضل من الأنعام. وأنهم ذَرْءُ جهنم. ونهى رسوله أن يكون من الغافلين؛ مما يدل على الأمر باليقظة، وأهمية شأنها في حياة المسلم، مما يؤدي إلى تَحْدِيق الْقَلْبِ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ، واستخدام السمع والبصر والفؤاد فيما يعود عليها بالنفع يوم القيامة، فاليقظة شعور مرهف يوصل إلى الفهم عن الله.

٤١-**الإنابة**: وهي رجوع القلب إلى الله في كل وقت، والإسراع إلى مرضاته، والسباق إلى محابِّه. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ} [الزمر: ٥٤] وَأَثْنَى عَلَى خَلِيلِهِ بِهَا، وَقَالَ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} [هود: ٧٥] وَأَخْبَرَ أَنَّ آيَاتِهِ إِنَّمَا يَتَبَصَّرُ بِهَا وَيَتَذَكَّرُ أَهْلُ الْإِنَابَةِ، فَقَالَ: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا} [ق: ٦] إِلَى أَنْ قَالَ: {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [ق: ٨] وَقَالَ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} [غافر: ١٣] وَقَالَ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [الروم: ٣١] وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ: {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص: ٢٤] وَأَخْبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ وَجَنَّتَهُ لِأَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ، فَقَالَ: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ} [ق: ٣١] وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْبُشْرَى مِنْهُ إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْإِنَابَةِ، فَقَالَ: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى} [الزمر: ١٧].

٤٢-**التمكن**: وهو قوة الصبر ومتانة اليقين، بحيث لا ينجذب صاحبه لشبه المنافقين، ولا يتأثر بحرب الكافرين. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: ٦٠]. فَمَنْ وَفَّى الصَّبْرَ حَقَّهُ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الْمُبْطِلُونَ، وَلَمْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ وَمَتَى ضَعُفَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ أَوْ كِلَاهُمَا اسْتَفَزَّهُ هَؤُلَاءِ وَاسْتَخَفَّهُ هَؤُلَاءِ، فَجَذَبُوهُ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ ضَعْفِ قُوَّةِ صَبْرِهِ وَيَقِينِهِ، فَكُلَّمَا ضَعُفَ ذَلِكَ مِنْهُ قَوِيَ جَذْبُهُمْ لَهُ، وَكُلَّمَا قَوِيَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ قَوِيَ انْجِذَابُهُ مِنْهُمْ وَجَذْبُهُ لَهُمْ.

٤٣-**الغَيرة**: وهي الغضب إذا اسْتُهِينَ بالحقِّ أو انتُهكتِ الحُرمَة، وفي المتفق عليه قَوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ غَيْرَتِهِ: حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». وعند مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ: أَنْ يَأْتِيَ الْعَبْدُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ».

٤٤-**السكينة**: وهي سكون القلوب عنِ الرَّيبِ والشَّكِّ، وهي ثبات القلوب الطائرة، وهدوء الانفعالاتِ؛ تُورثُ الخُشوعَ والخُضوعَ، واجتماع القلبِ على اللهِ، بحيث يؤدِّي عُبوديَّتَه بقلبه وبدَنِه قانِتًا للهِ. وَهِي السُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَاوِفِ. فَلَا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ. وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ. وقد أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ عَنْ إِنْزَالِهَا فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ؛ فهي مِنْ مَنَازِلِ الْمَوَاهِبِ. لَا مِنْ مَنَازِلِ الْمَكَاسِبِ.

٤٥-**الطُّمأنينَةُ**: وهي سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ. وَعَدَمُ اضْطِرَابِهِ وَقَلَقِهِ. وَمِنْهُ الْأَثَرُ الصحيح عند الترمذي وغيره، قوله صلى الله عليه وسلم: «الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ» أَيِ الصِّدْقُ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ قَلْبُ السَّامِعِ. وَيَجِدُ عِنْدَهُ سُكُونًا إِلَيْهِ. وَالْكَذِبُ يُوجِبُ لَهُ اضْطِرَابًا وَارْتِيَابًا. وَمِنْهُ ما صح عند أحمد وغيره قَوْلُهُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ» أَيْ سَكَنَ إِلَيْهِ وَزَالَ عَنْهُ اضْطِرَابُهُ وَقَلَقُهُ.

وتكتسب الطمأنينة بالإيمان وكثرة الذكر، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨]. وعندها تصبح النفس مطمئنة، وتشرف بعدها بدخول الجنة. قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٢٧].

٩-وَالِانْشِرَاحُ وَالرِّضَا التَّضَرُّعُ وَالْغُرْبَةُ السِّبَاقُ وَالتَّخَشُّعُ

٤٦-**انشراح الصدر**: وهو نور يقذفه الله في القلب؛ يؤدي إلى سعته لفهم الشرع، والسعادة، والحياة الطيبة. وهو من الله، قال تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} [الزمر:٢٢]. ولقد ذكّر الله عز وجل نبيّه محمّدًا صلى الله عليه وسلم بما امتنّ به عليه فقال عز وجل: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشّرح: ١]. ولقد سأل موسى ربّه أن يشرح له صدره عندما أمره بالذّهاب لدعوة فرعون، أعتى أهل الأرض طغيانًا وكفرًا، قال عليه السلام: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي} [طه: ٢٥-٢٦]. ولقد قدّم الله انشراح الصّدر على تيسير الأمر، لأنّ نور الهداية الّذي يشرح الله به صدر المؤمنين هو مفتاح التّيسير، وهو نعمةٌ لا تقدّر بثمنٍ، فإذا رأى الله في عبده الخير شرح له الصّدر، قال سبحانه وتعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام: ١٢٥]. وإذا كان العبد ضالًّا معرضًا؛ ضيّق الله عليه صدره وجعله حرجًا، قال تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]. وهذا ميزان عدلٍ لا يميل، وطريقٌ لا ينحرف، فمن أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى يسرّه الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذّب بالحسنى يسرّه الله للعسرى.

٤٧-**الرضا**: وهو ارْتِفَاعُ الْجَزَعِ من قلب العبد تُجاهَ أَيِّ حُكْمٍ مِنَ أحكامِ اللهِ. وقد مَدَحَ اللهُ أَهْلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، وقد صرّح الله في كتابه عن أهل الإيمان

والعمل الصالح بأنه رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله في موضعين. وقد صحَّ في السنةِ أنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا». وَقَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ».

٤٨-**التضرع**: وهو المبالغة في الشعور بالفقر والحاجة إلى الله، وهو أن تلجأ إلى الله مستغيثًا، تصرخ بقلبك وروحك وكيانك، تبكي ذليلاً بين يدي الغني القادر... تمد يديك بحاجتك لأبعد ما تستطيع، وتذرف الدموع... وتُنادي كل ذرَّة في جسدك وكل زفرة في روحك بالنجاة، ممن يملك طوق النجاة. وذلك أنَّ التضرع هو السبيل إلى النجاة عند الشدائد والمصائب والكوارث. قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ٤٢-٤٣]. وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُون} [الأنعام:٦٣-٦٤]. وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} [الأعراف: ٩٤]، وكذلك التضرع مع الاستكانة هما شرط النجاة، قال تعالى: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} [المؤمنون: ٧٥-٧٦].

٤٩-**الغربة**: والمقصود بها أن تكون من القلة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، التي تقوم بالقسط، وتمنع الفساد في الأرض، قَالَ تَعَالَى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود: ١١٦]. وَهُمُ المعْنِيُّون بقولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا،

وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ». وَلِقِلَّتِهِمْ فِي النَّاسِ جِدًّا؛ سُمُّوا غُرَبَاءَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي النَّاسِ غُرَبَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ غُرَبَاءُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُؤْمِنِينَ غُرَبَاءُ. وأهل الفهم الصحيح للإسلام غرباء. وقد ذكر الله الأكثرية في كتابه في نحو من ست وستين مرة على سبيل الذم، فأكثر الناس لا يعقلون ولا يعلمون ولا يفقهون ولا يؤمنون ولا يشكرون ولا يسمعون، وأكثرهم فاسقون ويجهلون ويُضلون ومشركون وكافرون وللحق كارهون.

٥٠-**السباق إلى الله**: وهو التقدم على منافسيك في القرب إلى الله من خلال الإسراع إلى المقرّبات، والبعد عن المعوقات. وقد أمر الله به فقال: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الحديد:٢١]، وقال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين:٢٦]. وأثنى على أهله، فهم في أعلى المراتب، فقال: {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر:٣٢]. وقال: {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون:٦١]. وقال: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١٠٠]. وقال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)} [الواقعة]. وقال عن الملائكة: {فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)} [النازعات]. وانظر إلى الصحابة الكرام وكيف كان سباقهم إلى الله، وتنافسهم على طاعته؛ لعل في ذلك شحذًا لهممنا حتى نلحق بركبهم ما استطعنا، أو نشم غبار خيولهم، ونشاهد مواطئ أقدامهم: فقد خرج أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُه يوماً!،

فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما أبقيت لأهلك»؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر – رضي الله عنه – بكل ما عنده، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما أبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا. وحديث: «سبقك عكاشة» [خ، م] وحديث: «سبق المفردون» [م] وحديث: «سبق أهل الدثور والأجور» وفيه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة» متفق عليه.

٥١- **الخشوع**: وهو لين القلب، وخضوعه، ورقته، وسكونه، وحضوره وقت تَلَبُّسه بطاعة الله، فتتبعه جميع الجوارح والأعضاء ظاهرًا وباطنًا؛ لأنها تابعة للقلب، وهو أميرها، وهي جنوده. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد: ١٦] وَقَالَ تَعَالَى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون: ١]. ومن ثماره ثبات المغفرة والأجر العظيم للخاشعين قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب:٣٥]. ولقوله الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران:١٩٩]. وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ ويقول: «وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ» [م]. وله فضائل جمة: منها أنه مَن فرَّغ قلبه لله تعالى في

صـلاته انصـرف من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومنها أنه مَن صـلى ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسَـــه غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومنها أنه مَن صـــلَّى صـــلاةً مكتوبةً فأحســـن خشـــوعها كانت كفّارةً، ومنها أنه من صَـــلَّى ركعتين مقبلًا عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة. ومنها أن الأجر في العبادة يكتب على قدر الخشـــوع... ويتوصـل إليه في الصـلاة بحضـور القلب، وتدبر المقروء، واسـتشـعار عظمة الله، وعظمة الوقوف بين يديه...

١٠-فَهَــذِهِ الْأَعْمَــالُ قُوْتُ الْقَلْــبِ فَاظْفَرْ بِهَا فِيْ السَّـــيْرِ نَحْوَ الرَّبِّ

أي فهذه الأعمال التي ذكرت تشـكل أهم أغذية القلب، التي بها يحيى، ويسـعد، ويسـلم من الأمراض التي تسـبب العطب، فعليك أن تظفر بها، وتعمل بها في سـيرك، نحو ربك، ستجد السعادة في الدارين.